

الهجرة البيئية... رؤية سوسولوجية

د. الأزهر ضيف

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

ملخص:

تشهد الهجرة البيئية انتشارا واسعا في الآونة الاخيرة تبعا لانتشار وتنوع المشكلات البيئية من ناحية، واستمرارها وتطورها من ناحية أخرى مما يستدعى الوقوف على هذا النوع من الهجرات كونه احد مخرجات المشكلات البيئية. وحول هذا الموضوع سنحاول التعرف على ماهية الهجرة البيئية مركزين على مفهومها وعلاقتها ببعض المفاهيم

الأخرى ذات العلاقة، اضافة الى التطرق الى بعض أسبابها الاكثر انتشارا.

الكلمات المفتاحية : البيئة . الهجرة . المجتمع.

Environmental migration.. Sociological vision

Abstract:

Environmental migration is witnessing widespread in recently and this depending on the prevalence and diversity of environmental problems on the one hand, and the continuation and development on the other hand, which requires a stand on this kind of migration as one of the outputs of environmental problems.

On this issue, we will try to identify what the environmental migration, focusing on the concept and its relationship with some other related concepts, as well as to address some of the most prevalent causes.

Key words: environmental community migration.

يعيش الانسان منذ بدء الخليقة في تفاعل مستمر مع عناصر البيئة المختلفة في سبيل تامين عيشه من غذاء ومأوى وسعيا للحصول على مقومات وقاية ودفاع من المخاطر المحدقة به. ويرتبط طبيعة النشاط البشري بنوعية البيئة الطبيعية وطبيعية مكتنزاتها، فتوصف بعض البيئات بالسهلة حيث المناخ الملائم ووفرة المأكل وسهولة العيش والبعض الاخر توصف بانها بيئات صعبة ترغم سكانها على مجابهة المخاطر كالزلازل والبراكين او تحمل قساوة المناخ كسكان المناطق الحارة او تحدي الصعاب كسكان الجبال والمناطق الوعرة ، فتجدهم يتكيفون تارة مع الظروف وتارة اخرى يبلغون الهدف بتطويعها او تعديلها وفي احيان كثيرة لا يستطيعون التعايش فتتغلب عنهم ويضطرون للمغادرة في احدى انواع الهجرات الحالية وهي ما تسمى الهجرة البيئية. وشاعت عملية الطرد البيئي في الآونة الاخيرة والتي تعد محصلة للعديد من المشكلات البيئية المباشرة كالكوارث الطبيعية في شكل استجابة سريعة، او غير مباشرة كنقص الموارد وانتشار الامراض والايوثة كما يحصل في العديد من الدول الافريقية والتي ينجم عنها هروب بطيء في شكل موجات موسمية ، ماهي الهجرة البيئية؟ وهل الهجرة البيئية في جوهرها شكل من أشكال النزوح القسري؟ وما الفرق بين الهجرة والنزوح؟ ماهي اوجه الضغط البيئي التي تمارس على سكان المناطق الهشة بيئيا؟

أولاً: ماهية البيئة

يقصد بمصطلح **البيئة (Environment)** كل ما يحيط بالإنسان من مكونات عضوية حية مثل : النباتات والحيوان، ومكونات غير عضوية غير حية كالصخور والمياه والتي يؤثر فيها الإنسان ويتأثر بها¹، فمصطلح البيئة يتكون إذا من العناصر الطبيعية (يقصد به الجوانب الفيزيكية و البيولوجية للبيئة و تفاعلاتها المتداخلة و ظواهرها الكلية، كما تشمل الثروات الطبيعية المتجددة (الزراعية، الغابات...) و غير المتجددة (المعادن والبترول)، إضافة إلى العناصر المشيدة التي أقامها الإنسان خلال تفاعله مع البيئة الطبيعية (الاختراعات و الابتكارات التي وضعها الإنسان للسيطرة على الطبيعة و كذا كافة نشاطات الإنسان التي يمارسها في بيئته).

تعريف المؤتمر الدولي للأمم المتحدة عن البيئة عام 1972 في السويد: " مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى والتي يستمدون منها زادهم ويؤدون فيها نشاطهم"².

1 - البيئة من منظور سوسولوجي

أما من الناحية السوسولوجية فالبيئة هي المكان الذي يحيط بالشخص، ويؤثر على مشاعره، أخلاقه، وأفكاره³، وعليه فإن البيئة تشمل كل ما يحيط بالفرد ويتفاعل معه، وقد أعطى مؤتمر "ستوكهولم 1972" فهما متسعاً لمفهوم البيئة حيث أصبحت "تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية (ماء + هواء + تربة + معادن + مصادر الطاقة + النبات + الحيوان)، بل هي رصيد الموارد المادية، والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"⁴.

ويحدد ابن خلدون البيئة بأنها المكان الذي تتوفر فيه إمكانيات معينة والإنسان وحده هو القادر على التحكم فيه، وبناءً على ما سبق يمكن اعتبار: "إن البيئة بالنسبة للإنسان هي الإطار الذي يحيا فيه مع غيره من الكائنات، يحصل منها على مقومات حياته من مأكلاً وملبس ومسكن، ويمارس فيها مختلف علاقاته مع بني جنسه".

ولعله من الضروري من الناحية السوسولوجية التأكيد على أهمية العنصر البشري كمحور رئيس في تكوين البيئة فنقول عندها: أن البيئة لا تقتصر على الهواء والماء والتربة والمجال الجوي والعناصر الطبيعية فقط بل في وجود الإنسان بينها وتفاعلها معها والتأثير المتبادل مع عناصرها.

وتميل التعاريف الاجتماعية للإشارة للفظ البيئة بوصفها كل ما يثير سلوك الفرد أو سلوك الجماعة ويؤثر في هذا السلوك، وقد يشار في إطار علم النفس إلى البيئة الداخلية للفرد أي قواه الداخلية التي تسيره، أما علماء الاجتماع فيؤكدون على الظروف والعوامل الخارجية عن الكائن العضوي سواء كانت هذه الظروف الخارجية فيزيقية مادية جغرافية أو اجتماعية أو ثقافية ويحددون المقصود بالبيئة الجغرافية بأنها جميع مظاهر البيئة التي لا تعد من صنع الإنسان أو من خلقه أو ناتجة عن النشاط الإنساني، وتشمل الأرض والمناخ والتضاريس وتأثير العوامل الكونية والتوزيع الطبيعي للحياة النباتية والحيوانية، ويشار أحيانا إلى البيئة الجغرافية بأنها طبيعية أو فيزيقية، ولكن البيئة الفيزيقية أكثر شمولاً من البيئة الجغرافية لذلك يفضل استخدام البيئة المادية لتشمل مظاهر العمران والتمدن الحديث كالمصانع والشركات أما البيئة الاجتماعية فهي أحد جوانب البيئة العامة الكلية وتشمل الناس والجماعات وتشمل كذلك التوقعات الاجتماعية ونماذج التنظيم الاجتماعي وجميع المظاهر الأخرى للمجتمع.

2 - تاريخ ارتباط الإنسان بالبيئة:

تدل الشواهد التاريخية ارتباط مختلف حضارات الإنسانية على وجه الأرض بعدة عوامل في مقدمتها العوامل البيئية ولعل الأكثر تأكيداً ان كل الدراسات التي تناولت نشأة أي حضارة تبين تأثير الإنسان ببيئته المحيطة به بحيث كانت دائما نقطة الانطلاق التي تدفعه نحو البناء والتقدم وإثبات وجوده ومن هذا المنطلق تنتهي إلى مسامعنا مقولة "مصر هبة النيل" ذلك النهر العظيم الذي يشق أفريقيا حيث كانت مياهه سببا في قيام اقدم الحضارات الانسانية على ضفتيه وهو يعتبر علامة بيئية مميزة لكافة الحضارات الافريقية والتي أهمها الحضارة المصرية القديمة.

والى الشرق نجد نهري دجلة والفرات التي نشأت على ضفافهما حضارة بلاد الرافدين، وان توجهنا شرقا نجد اكثر الوديان والسهول و البحار والمناخ المعتدل والغابات والطبيعة الخلابة والانهار التي شقت القارة الاسيوية وتجمعت حولها الشعوب لتكون السبب الحقيقي لميلاد الحضارات الصينية والهندية، واذا اتجهنا الى الغرب حيث القارة الاوربية و قارتي امريكا الشمالية والجنوبية كانت العوامل البيئية مما تحتويه الطبيعة والمناخ سببا في نشأة الحضارات الاغريقية واليونانية والرومانية والهنود الحمر القديمة في المكسيك والولايات المتحدة الامريكية حاليا.

3 - المشكلة البيئية:

تعني المشكلة بصفة عامة "الانحراف عن المألوف"، فهو موقف يتطلب معالجة إصلاحية، ويستلزم تجميع الوسائل والجهود والخطط لمواجهةها والعمل على تحسينها ووقاية المجتمع منها.

فالمشكلة الاجتماعية هي انحراف السلوك الاجتماعي عن القيم التي يحترمها الفرد والمجتمع ويخضع لها، والمشكلة البحثية هي موقف يعترض باحثا علميا يصعب حله وقد يحتاج لحله من قبل المختصين، وتعد المشكلة البيئية أحد انشغالات العامة من الناس لارتباطهم الوثيق والدائم بها.

ويستخدم مصطلح المشكلات البيئية غالبا للدلالة عن مختلف الظواهر السلبية وهي أعلى الاهتمامات التي تريد مختلف العلوم المرتبطة بالبيئة الطبيعية منها والإنسانية معالجتها، وجعلها أحد موضوعاتها الأساسية.

مفهوم المشكلة البيئية:

- تعني المشكلة البيئية بحدوث اختلال في توازن النظام البيئي، ويحدث اختلال توازن النظام البيئي عندما يتم التأثير على أحد مكوناته أو أكثر، فتتأثر بقية المكونات وتتبدل العلاقات القائمة بينها فيصبح غير قادر على الحفاظ على توازنه السابق. ويمكن القول أيضا أن المشاكل البيئية مثل حرائق الغابات، حرائق المراعي، اشتعال الغاز والنفط، ضوضاء، إشعاعات ضارة، زيادة كبيرة جدا في عدد سكان العالم، عمران، تصحر، استنزاف الأوزون، تلوث الهواء والماء والتربة، استنزاف الموارد الطبيعية، نفايات كثيرة يضاف إلى ذلك الكثير من الملوثات كل ذلك دون الأخذ بعين الاعتبار للبيئة من حولنا وكل أدى إلى نشوء مشكلات بيئية يمكن إجمالها بالنقاط التالية⁵:

- استنزاف مصادر الطاقة أو الموارد الطبيعية.
- مشكلة التصحر.
- مشكلة الانفجار السكاني.
- مشكلة النفايات.
- مشكلة تلوث كل من الماء والهواء والتربة.
- مشكلة التلوث الضوضائي.
- مشكلة التلوث الإشعاعي.
- مشكلات المناخ.

ويمكن القول إن المشاكل البيئية "لا تعني فقط المشكلات الآتية، وإنما تتسع دائرته لتشمل احتمالات حدوث المشكلة في المستقبل المنظور وغير المنظور"⁶.

ثانيا : الهجرة البيئية

1. ماهية الهجرة

تعد الهجرة أحد أهم الظواهر التي ارتبطت بدايتها الأولى بوجود الإنسان على الأرض، وقد ساعدت الهجرات الأولى على انتشار الجنس البشري في أرجاء الأرض، ومن خلال هذا الانتشار تشكلت المجتمعات والثقافات الإنسانية المختلفة، لذا كانت الهجرة وما زالت مجالا خصبا للدراسات الإنسانية المختلفة التي تستدعي اهتمام الباحث في مجال العلوم الإنسانية ولا سيما علمي الأنثروبولوجيا والاجتماع، لما يرافقهما من انعكاسات ومشكلات مختلفة تترك آثارها في المهاجرين وفي مجتمعاتهم الأصلية والمجتمعات التي هاجروا إليها.

فمنذ وجود الإنسان على الأرض كان على ترحال دائم معتمدا على وسائل أولية وبدائية للعيش، فاعتمد في بداية حياته على جمع الثمار ثم انتقل باحثا عن الحيوان لصيده وقنصه والانتفاع منه ثم تدجينه، وفي المجتمع الزراعي اقترن الاستقرار بتوافر مقومات ذلك الاستقرار وهي الأرض ومصادر المياه من انهار وينابيع للقيام بالأعمال الزراعية، وبما ان الإنسان كان على صراع دائم مع بيئته فكان عليه أن ينتقل من مكان إلى آخر بحثا عن متطلبات الحياة والعيش، كتلك الهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية إلى العراق وبلاد الشام وشمال أفريقيا، أو هجرات القبائل الجرمانية بين القرنين الرابع والسادس في منطقة بحر البلطيق شمالا بحثا عن الأراضي الزراعية، وقد تمت تلك الهجرات كلها بفعل قوة العوامل الطاردة المتمثلة في قسوة الطبيعة وضراوة الجماعات المعادية، وعدم قدرة الإنسان على التكيف مع الواقع وتطوير الحياة المادية والبشرية لصالحه، والملاحظ أن هذه الهجرات البدائية كانت تتم بصورة جماعية لا فردية إذ كانت تقوم بها جماعات كبيرة أو شعوب وقبائل بأكملها

حركات جماعات الصيد والقنص أو تلك الجماعات التي تعيش على الزراعة. ويعتقد العلامة ابن خلدون بأن هنالك أسبابا متعددة للهجرة فيقول (قال صلى الله عليه وسلم) في حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة (اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) ومعناه أن يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدئوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي إلى وجه من الوجوه وقيل أن ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة لقلّة المسلمين وأما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح والكل مجموعون على إنها بعد الوفاة ساقطة).⁷ ، وهنا يتحدث ابن خلدون عن السبب الديني الذي دفع المسلمين إلى الهجرة مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويضيف إلى ذلك أسبابا أخرى بقوله (اعلم إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكمالي)⁸ ، وهنا يضع ابن خلدون سببا آخر للمجتمع الإنساني ألا وهو العامل الاقتصادي الذي يدفع الناس إلى التجمع في أماكن محددة لكسب العيش أو الاكتفاء بمستلزمات بسيطة للحياة

وعلى الرغم من تمكن الإنسان من تكيفه للظروف الطبيعية التي كانت تدفعه للهجرة، إلا أنه ما زال يستسلم لبعض الظروف الطبيعية كالزلازل والبراكين والأعاصير المدمرة كما حدث في جنوب شرق آسيا في عام (2005) عندما اجتاحت موجات إعصار (التسونامي) مساحات شاسعة أدت إلى هجرة الكثير من السكان، وكذلك ما تفعله النزاعات والحروب

وقد توسعت اتجاهات الهجرات عما كانت عليه في الماضي ، إذ اكتسبت هذه التحركات صورا وأبعادا مختلفة في مراحل التاريخ البشري ، وعرفت كل المجتمعات إذ أخذت مجاميع كبيرة من السكان تنتقل من مكان إلى آخر كما حدث في هجرة الشعوب الأوربية التي تعد من أكبر الهجرات التي عرفها التاريخ الحديث التي توجهت إلى أمريكا أولا ثم إلى استراليا وجنوب القارة الأفريقية.⁹

2. مصطلحات ارتبطت بالهجرة

ترتبط بالهجرة عدة مصطلحات من أهمها:

1. تيارات الهجرة: وتعني المجموع الكلي لحركات الهجرة التي تمت خلال فترة الإسناد الزمني بين منطقتي الأصل و الوصول.¹⁰
2. حجم الهجرة: وهي مجموع الوافدين على المنطقة و المغادرين لها خلال فترة معينة ومع الهجرة الكلية يتمثل الهدف في قياس أهمية الحركات التي تحدثها الهجرات ولهذا السبب لا يدخل البعض سوى الهجرات الخارجية في حين يأخذ البعض الآخر في الاعتبار الهجرات الداخلية وفي هذه الحالة الأخيرة، تساوي الهجرة الكلية مجموع الهجرة الخارجية من جهة وضعف الهجرة الداخلية من جهة أخرى.¹¹
3. حركة الهجرة: هي مجموع عمليات الانتقال التي تؤدي إلى تغيير مقر الإقامة للأشخاص المعنيين (المكان الأصلي أو مكان المغادرة) إلى مكان الوصول¹²
4. صافي الهجرة: وهي الفرق بين عدد الوافدين و المغادرين أثناء فترة محددة ، فإذا كان الفرق لصالح الوافدين سمي ذلك "فيض الهجرة" و إذا كان المغادرون أكثر سمي ذلك "غيض الهجرة".¹³
5. فاعلية الهجرة: و يعتمد على نسبة صافي الهجرة إلى حجمها الكلي وفق المعادلة التالية: (صافي الهجرة ÷ حجم الهجرة) × 100.¹⁴

6. فترة الهجرة : وهي الفترة التي تجمع عنها بيانات الهجرة وقد تكون محددة بسنة أو خمس سنوات أو عشر أو بالفترة الفاصلة بين تعدادين أو غير محددة و ذلك باعتبار آخر مكان للإقامة أو مكان الولادة أو طوال عمر الفرد .¹⁵

7. معدل الهجرة المغادرة : هو عدد المهاجرين من المنطقة منسوبا إلى إجمالي عدد السكان في المنطقة الأصلية كما هو مبين :

$$(\text{عدد المهاجرين النازحين} \div \text{متوسط السكان في المنطقة الأصلية}) \times 100 \text{ .}^{16}$$

8. معدل الهجرة الوافدة: هو عدد المهاجرين إلى المنطقة منسوبا إلى إجمالي عدد السكان ، وذلك على النحو التالي:

$$(\text{عدد المهاجرين إلى المنطقة} \div \text{إجمالي عدد السكان}) \times 100 \text{ .}^{17}$$

ثالثا: الهجرة البيئية

1. تعريف الهجرة البيئية:

يصادف البحث عن تعريف واضح ودقيق للهجرة البيئية العديد من المفاهيم المترابطة كالهجرة البيئية والهجرة المدفوعة بأسباب التغيرات المناخية واللاجئين الإيكولوجيين أو البيئيين ومهاجري تغير المناخ والمهاجرين القسريين المدفوعين بأسباب بيئية متناثرة في الأدبيات المتداولة حول الموضوع، ولكننا سنورد تعريفا مبسطا شاملا للهجرة البيئية مفاده : " الهجرة البيئية هي مختلف الاسباب البيئية المباشرة وغير المباشرة التي تتسبب في المغادرة الدائمة للسكان من مناطقهم الأصلية".

ومن خلال هذا التعريف تبرز عددا من الآراء المتباينة حول تحديد المعنى الحقيقي "للحجرة البيئية" بالنظر الى النية في الرجوع فور انتهاء الاسباب، وبين النية في المغادرة الدائمة بغض النظر عن انتهاء الاسباب البيئية الدافعة للمغادرة، والتي تقودنا الى التفرقة بين الهجرة والنزوح القسري فنقول ان الاسباب البيئية الاكثر انتشارا والتي تدفع الناس الى مغادرة منازلهم بسبب الظروف البيئية هي الفيضانات والجفاف والتغيرات في فصول هطول الامطار فنزوح السكان في هذه الحالة هي نتيجة لسبب آني ويكون النزوح الى اماكن قريبة اكثر امانا يتم الرجوع بعدها الى الموطن ، اما الهجرة البيئية هي مختلف صور المغادرة الدائمة التي تقف التغيرات البيئية وراءها سواء الكوارث الطبيعية الحادة او التدهور التدريجي في الظروف البيئية، لكننا نعتبر أن صفة "مهاجرين بيئيين" تنطبق على فارين من تهديد أو خطر بيئي وشيك يهددهم أو الذين يختارون بحرية أكبر نسيبا ترك وطنهم و" حسب تقرير اليونسكو فان عدد المهاجرين البيئيين لسنة 2012 بلغ حوالي 30 مليون نسمة"¹⁸ ، و "يتوقع الخبراء ان يصبح حوالي 200 مليون شخص بحلول 2050 بلا مسكن نتيجة مشاكل بيئية وهو ما يعادل ثلثي سكان الولايات المتحدة الامريكية اليوم"¹⁹

وعلاوة على ذلك، فإن المهاجرين البيئيين يعاني أوضاعهم ويطمح بقوة للعودة إلى ديارهم - على عكس الهجرة الاقتصادية.

2. أسباب الهجرة البيئية

لم تعد ظاهرة الهجرة البيئية ظاهرة محتلمة انما واقع نعيشه في الكثير من مناطق الكرة الارضية واصبح من اكثر الاسباب مدعاة للهجرة على غرار النزاعات السياسية والعسكرية.

وقد صدر مؤخرا تقريرا مفصلا للمنظمة الدولية للهجرة مع معهد التنمية المستدامة والعلاقات الدولية (IDDRI)، تضمن العديد من الارقام ، حيث أشار أنه في عام 2008 كان هناك 4.6 مليون نازح داخل بلداهم بسبب الصراع العنيف، وكان هناك 20 مليون شخص اضطروا إلى مغادرة مكان إقامتهم في أعقاب كارثة طبيعية. وبعد ما كان عدد "المهاجرين البيئيين" 15 مليون في عام 2009، وصل إلى 38 مليون في عام 2010. وفي عام 2011 يمكن أن نرى عددا من حجم مماثل، ويوضح فرانسوا جيميني، الباحث في IDDRI ومنسق الكتاب. التسونامي و "حادثة فوكوشيما، تسببت الفيضانات في تايلاند والصين والفلبين التشريد الجماعي".

وأظهر استطلاع اجراه معهد "غالوبهام" 2011 ان واحد من كل عشرة اشخاص يعتقدون ان الظروف البيئية في العشر سنوات القادمة يمكن ان تكون سببا للهجرة، الى جانب الظروف البيئية هناك دائما ظروف اخرى كالوضع السياسي والاقتصادي والصراعات كما هو الحال في القرن الافريقي في السنوات الاخيرة الماضية ولكن واحدة من المساهمات الرئيسية للبحث هو إظهار أن الأحداث المفاجئة والوحشية ليست وحدها سببا في هذا النوع من الهجرة. فالتدهور البطيء للبيئة يمكن أن يؤدي أيضا إلى التشريد القسري.

- البحث عن مستوى أفضل للمعيشة:

يقول العالم الديموغرافي الفرنسي الفريد صوفي في اشكالية الهجرة بقوله "اما ان ترحل الثروات حيث يوجد البشر او يرحل البشر حيث توجد الثروات" ، يمكن ان نستشف من ذلك ان من الاسباب الجوهرية التي تدفع الفرد إلى الهجرة هي البحث عن مستوى افضل للمعيشة الذي يرتبط في كثير من الاحيان بشح الموارد والدخل القومي وكذلك سلوكيات الحياة فمن المعلوم ان اغلب سكان دول جنوب القارة الافريقية يعيشون دون مستوى الفقر بالرغم من ثراء اراضيهم بالموارد مما يضطر العديد من السكان الى المغادرة طمعا في حياة أفضل ويتقاطع هذا السبب مع المتغير الاقتصادي ، فالبيئة الفقيرة هي بيئة دائمة الطرد حيث يأمل المهاجر أن يجد حياة أفضل في أماكن أخرى من الديار ترافقه نية البقاء في هذه المناطق، وينسحب هذا الامر كذلك عن العديد من الشعوب التي تركت مواطنها بسبب عدم قدرة الاراضي الزراعية عن العطاء، او تلك الاراضي التي كانت تنام على مختلف الموارد المنجمية وحين تنفذ هذه الموارد يضطر السكان الى المغادرة بحثا عن موارد بديلة تمكنهم من الحصول على لقمة العيش.

- التغير المناخي:

تعترف المنظمة الدولية للهجرة صراحة بأن التغير المناخي قد يكون سببا للهجرة في السنوات القادمة، فقد وافقت في عام 2007 على تعريف مصطلح "المهاجرين البيئيين" كون الاسباب البيئية باتت تتزايد يوما بعد آخر، ولعل اهم ما يميز التغير المناخي " الاحتباس الحراري" حيث افاد البروفيسور زورمان مايرس من جامعة أكسفورد سنة 1995 قائلا: "عندما يبلغ احتباس الحرارة في العالم ذروته عام 2050، قد يتضرر حوالي 200 مليون إنسان بسبب اضطرابات الرياح الموسمية، الأعاصير، ونظم الأمطار، وقسوة دورات الجفاف التي تستمر مدة طويلة، وأيضا بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر، والفيضانات الساحلية".

ان بقاء الانسان واستقراره مرهون بتوفر الموارد ولعل من بين المشكلات المصاحبة للتغير المناخي اضطراب الموارد فالعديد من المنتجات النباتية والحيوانات باتت مهددة بالزوال مما ينجم عنها اضطراب مصادر الغذاء والعيش وما يتبعه من بطالة ويكون بذلك أحد أسباب الهجرة.

هذا وترتبط العديد من النشاطات بالعوامل المناخية وعليه فالعديد من المشاريع والمعاملات التجارية تتأثر ايجابا أو سلبا بهذا العامل فالاضطرابات الجوية والارتفاع غير الطبيعي لدرجات الحرارة من شأنه التأثير على حركات الملاحة والنقل بانواعه أو صناعة الاسماك او الادوية وغيرها مما يدفع العديد من المستثمرين تغيير مناطق النشاط الى مناطق اخرى تساعد على الاستقرار المهني اكثر.

- الكوارث الطبيعية:

قال تقرير بريطاني إنه على الحكومات وهيئات الإغاثة حول العالم لا بد أن تساعد فقراء العالم أن يبتعدوا عن المناطق المحتمل أن تضربها الفيضانات أو يصيبها الجفاف، محذرا من الكوارث الإنسانية التي ربما تسببها التغيرات المناخية.

وتعد الكوارث الطبيعية من اكثر اسباب الهجرة البيئية فاعلية وسرعة تفاعل للسكان معها كونها تهدد حياتهم بشكل مباشر وتكون الشكل الجماعي والسريع احد خصائصها وعادة ما تكون الوجهة قريبة - الى مناطق اكثر امانا- اضافة الى كونها مؤقتة نسبيا وتشمل مختلف شرائح المجتمع، وما دامت الوجهة واحدة فان الكثيرين يستقرون في مخيمات جماعية تفتقد عادة الى الاستقرار، كما تمتاز كونها هجرات داخلية، ولعل الزلازل والفيضانات التي ضربت عديد المرات مناطق شرق آسيا وموجات تسونامي التي ضربت بعض مناطق اليابان ودول امريكا اللاتينية بعض صور الهجرات البيئية التي كانت بسبب الكوارث الطبيعية.

- الموقع والثروات الطبيعية :

مما لا شك فيه وجود ارتباط وثيق بين الموقع الجغرافي ونمط حياة الافراد فهناك مناطق جغرافية ايجابية مساعدة على التطور والتواصل مع الشعوب والثقافات الاخرى عكس الاخرى المنعزلة التي تحد من التواصل والتي كانت في العديد من الاحيان عامل طرد للكثيرين من الباحثين عن الحياة المفتوحة وعن التقدم والحياة الحضارية. وعلت نحو اخر فان التوجه نحو الثروات الطبيعية ومصادر الطاقة فاذا اخذنا البيئة الخليجية فنجد ان التركيب الجيولوجي اتاح لها مخزونا ضخما من النفط مما ادى الى تشجيع السكان على استخراجه واستغلاله، ولعل استخراج النفط وبعض الثروات المشابهة ادى بالعديد الى التوجه نحو هذا النشاط ، وما نلاحظه من عمالة اسبوية واوروبية اختارت الخليج العربي موطنها للاستقرار خير دليل على استقطاب هذه الموارد ودورها الرئيس في الهجرة البيئية، وما يقال عن الاستقطاب يقال عن الطرد، فمادام اكتشاف الموارد يستقطب فنفوذها يدفع كذلك للمغادرة، فالاستقرار والبقاء مرتبط بوجود الثروات، وعندما تنتضب تتغير العلاقة ويضطر السكان للرحيل" وخير مثال على ذلك مدينتي كاليجوري وكلوغارد في استراليا واللذان تسميان مدينتا الذهب²⁰

خاتمة

اننا لا نستطيع الحد من الهجرة البيئية بصورة نهائية لتعذر التحكم في معظم اسبابها ، فالفيضانات والزلازل والاحتباس الحراري كلها عناصر خارجة عن السيطرة البشرية، ولكننا قد نحسن من الاثار والنتائج السلبية التي تخلفها ولعل الدول الغربية قد خطت شوطا كبيرا في هذا المجال، فنجد مثلا المهاجرين من إفريقيا وخاصة شمال إفريقيا يتجهون عادة إلى أوروبا بحثا عن ظروف حياة كريمة على المستوى المعيشي والأمني وباقي المستويات، ونجد كذلك الهجرة الداخلية ضمن حدود الدولة ذات اتجاهات مختلفة تتمثل أساسا في الهجرة الريفية الحضرية

المتوجة من الريف إلى المدينة سعياً في تأمين مستلزمات الحياة اليومية وينتشر هذا النوع من الهجرة الريفية أساساً في البلدان النامية في حالة تعرض أريافها لموجات جفاف أو فترات قحط ونجد اغلب أسباب الهجرة من دول الوسط الأفريقي مردها أسباب أمنية وبيئية وبالدرجة الأولى إضافة إلى السبب الاقتصادي والبحث عن العيش الكريم ، ولذا على الدول الاستعداد لآثارها الاقتصادية والاجتماعية كي لا تنظر إلى مجابهة مشكلة تقص مضاجع دول العالم بأسره ، هذا وإن ارادت دول العالم المتقدم ان تسلم من هذه النتائج عليها ان تساعد الدول الفقيرة للاستعداد لهذه الظروف مادياً وتقنياً بتوفير موارد بديلة وتأمين النازحين على حدودهم باقامة مناطق لجوء داخلية مؤقتة توفر مختلف انواع الرعاية.

الهوامش:

- 1 - عبد الكريم حافظ، الإدارة الفندقية والسياحية (عمان: دار أسامة للنشر و التوزيع، 2010)، ص.280.
- 2 - عارف أسعد جمعة: واقع المفاهيم التربوية البيئية في المناهج التربوية الإسلامية ، مجلة جامعة دمشق المجلد 27 العدد 3 و 4 ، 2011 ، 901.
- 3 - حسن عبد الحميد احمد رشوان: البيئة والمجتمع، مصر: المكتب الجامعي الحديث، 2006، ص 6.
- 4 - فتحي دردار: البيئة في مواجهة التلوث، تيزي وزو، الجزائر: المؤلف ودار الأمل، 2003، ص.16.
- 5 - الدليل المرجعي للشباب العربي في مجال الحفاظ على البيئة، سبتمبر/ أيلول 2006، ص.9.
- 6 - زين الدين عبد المقصود: البيئة والإنسان، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر: 1997، ص 72.
- 7 - ابن خلدون ، مقدمة، دار الرائد العربي ، ط5 ، 1982 ص120.
- 8 - المصدر نفسه ، ص120.
- 9 - محمد عبدة محجوب، الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ب.ت ، ص 43-44.
- 10 - سيد عبد الله ولد محبوبي ، الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا ،نشر بالتعاون مع صندوق الامم المتحدة في موريتانيا ، ص19.
- 11 - نفس المرجع ،ص19.
- 12 - صندوق الأمم المتحدة للسكان، سكان العالم العربي، الملحق 2، ص 3.
- 13 - سيد عبد الله ولد محبوبي ، مرجع سابق ص19.
- 14 - سيد عبد الله ولد المحبوبي، نفس المرجع ،ص20.
- 15 - سيد عبد الله ولد المحبوبي، نفس المرجع ، ص22.
- 16 - سيد عبد الله ولد المحبوبي، نفس المرجع ،ص21.
- 17 - سيد عبد الله ولد المحبوبي، نفس المرجع ،ص20.

بتاريخ 2015/05/02 الساعة 13.00:549313 http://www.greenline.com.kw/ArticleDetails.aspx?tp=549313.00 - 18

19 http://www.beatona.net/CMS/index.php?option=com_content&view=article&id=1430&Itemid=84&menuid=&lang=ar

20 - زين الدين عبد المقصود: البيئة والانسان، مرجع سابق ، ص38